مساهمةُ السّيرافي في صناعة قاعِدةِ النحو العربي (ممثِّلُ أهل النحوِ من المدرسة البصرية)

The Contribution of As-Sirafi in the Arabic Grammar Rule (Representative of Grammarian of the Bashra School)

Ahmad Sirfi Fatoni[1]
[1]State University of Makassar, Indonesia, ahmad.sirfi.fatoni@unm.ac.id

ملخص

هذا البحث يكشِف عن أفكار أهل النحو المشهور، السيرافي في صناعة قاعدة النحو، وهو مُمَثِّلُ أهل النحو النابغ من المدرسة البصرية. نوع هذا البحث البحث النوعي باستخدام التحليل الوصفي والنقدي. والمكتشفات من هذا البحث كما يلي: (١) ومن اجتهاد السيرافي أنَّ كلمة "كيف" اسمٌ غيرُ ظرفٍ، قال السيرافي: "أحتَاجُ أنْ أُبَيّنَ أنَّ "كيفَ" حقيقتها وموضوعها إنه اسم غير ظرفٍ وإن كان قد يؤدي معناها قولهم على أي حال." والدليل على ذلكَ إذا قلتَ: "كيف هذا الثوبُ؟" فالجواب: لَيّنٌ أو طويلٌ أو قصير. وما زال السيرافي يُبيّنُ رأيه ويقول: "ولو كان (كيف) ظرفا لم يُمتنعْ دخولُ أحرف الجر عليه كدخولها على (متى وأين)؛ (٢) رأَى السيرافي أنَّ العامل في البدل هو العامل في المبدل منه إذ المتبوع في حكم الطرح؛ فقال السيرافي: "اعلمْ أنَّ البدل إنما يجيء في الكلام على أن يكون مكان المبدل منه كأنَّه لم يُذكَرْ،" ومن ذلك يشير إلى أنَّ السيرافي يميل إلى المدرسة البصرية؛ (٣) تابع السيرافي سيبويه فيما استشهد به من لغات العربِ وفي تفصيله اللغة الحجازية لأنها أعلى اللغات وأقدمُها وأفصحُها، وقد أكثر من الاعتماد عليها فيما احتجَّ به من عبارات وأساليب، وفضلُها على غيرها من لغات العرب.

الكلمات المفتاحية: السيرافي، قاعدة النحو، المدرسة البصرية، المساهمة، الاجتهاد.

Abstract

This research reveals the ideas of the famous grammarian, as-Sirafi, a representative of the brilliant grammarian of the Bashrah school. The type of this research is qualitative

research using descriptive and critical analysis. The findings from this research are as follows: (1) According to Sirafi's diligence, the word *"Kaifa"* is a noun that's not *Dharaf*, As-Sirafi said: "I need to point out that *"Kaifa"* is a noun that is not *Dharaf*, although it may perform its meaning by saying it in any case." The proof of this case if you say: "كيف هذا الثوبُ؟" The answer is: "لَيِّنٌ، أو طويلٌ، أو قصيرٌ". As-Sirafi continues to explain his opinion, and he is said: "If *"Kaifa"* is a *Dharaf*, it's not forbidden for أحرف الجرِ to enter it as they enter متى and أينَ; (2) As-Sirafi argues that the factor in the *Badal* is the same as the factor in the *Mubdal minhu*, since the subordinate is in the judgement of subtraction, As-Sirafi said: "As we know that the *Badal* only comes in speech in such a way that the place of the *Mubdal minhu* is as if it had not been mentioned." This is indicates that As-Sirafi is inclined to the Bashrah school; (3) As-Sirafi follows Sibawaih in what he cited from the languages of the Arabs and in detailing the Hijaz language, because it is the highest, oldest and most eloquent language, and he relied more on it in the phrases and methods he cited, and preferred it to other Arab languages, as it's the highest language.

Keywords: As-Sirafi, Grammar Rule, Bashrah School, Contribution, Diligence.

مقدمة

اللغة العربية(Khoiroh et al., 2024) هي الكلمات التي يُعَبِّرُ بها العربُ عن أغراضهم، وقد وصلت إلينا جميعا من طريق النقلِ، وحفظها لنا القرآن الكريم والأحاديث الشريفةُ، وما رواه الثقاتُ من منثور العرب ومنظومهم. ولَمَّا خشيَ أهل العربية من ضياعها، بعد أن اختلطوا بالأعاجم، دوَّنوها في المعاجم أو القواميس، وأَصَّلوا لها أصولا تحفظها من الخطأ والغلط، وتسمى هذه الأصولُ "العلوم العربية." فالعلوم العربية هي العلوم التي يُتوصَّلُ بها إلى عصمة اللسان والقلم عن الخطأِ؛ وهي ثلاثة عشر علما: الصرفُ، والنحو، والرسمُ، والمعاني، والبيان، والبديع، والعروض، والقوافي، وقرضُ الشعر، والإنشاء، والخطابة، وتاريخ الأدب، ومتنُ اللغةِ. وأهمُّ هذه العلوم الصرف والنحوُ.

وهذا البحث يتكلم كثيرا عن علم النحو. اعلمْ أنَّ التعريف من علم النحو هو علمٌ بأصولٍ تُعرَفُ بها أحوالُ الكلماتِ العربية من حيثُ الإعرابُ والبناء، أي: من حيثُ ما يَعرضُ لها في حال تركيبها،

فبهِ نعرف ما يجبُ عليه أن يكون آخرُ الكلمة من رفع أو نصب أو جرٍّ أو جزم أو لزوم حالة واحدةٍ بعد انتظامها في الجملة العربية. ومعرفة هذا العلم ضرورية جدا لكل من يُزاولُ الكتابةَ والخطابة ومدارسةَ الآداب العربية، وبمراعاة هذا العلمِ يُحفَظُ اللسانُ عن الخطأِ في النطقِ، ويُعصَمُ القلمُ عن الزللِ في الكتابة والتحرير والتأليف (الغلاييني، مصطفى, ٢٠٠٧; الهاشمي، السيد أَحمد, ١٩٤٣; نعمة، فؤاد, n.d.).

وفي مرجِعٍ آخرَ، حدَّدَ بيار غيرو (Pierre Guiraud) النحوَ بقوله: إنَّ النحو هو الفنُّ الذي يُعَلِّمُ الكتابةَ والتكلمَ بلغةٍ ما دون خطإٍ، إذ إنهُ يُقَنِّنُ ويَرْسَمُ مجموعة قواعد تكونُ حجةً في لغة ما بموجب أحكام موضوعة من قِبَلِ مُنَظِّرينَ أو مقبولةً بالاستعمال. أما العالمُ اللغوي الشهير في العالم دو سوسير فيقول إنَّ النحو يدرسُ اللغة بصفتها مجموعةَ طرائق التعبير، ويشمل بالتالي الأنظمةَ التي تعالجُ البنية والتركيب (Saussure, 1971).

أما اليونان واللاتينُ فقد فهموا النحوَ بأنه مجموعة القواعد المتصلة بتصريف الأسماء والأفعال مضافا إلى ذلكَ المقاطع التي تلحق أواخرَ هذه الأسماء والأفعال كعلامات للإعراب، تُمَيِّزُ بين المفرد والجمع، أو بين أزمنة الأفعال المختلفة. وكان لهؤلاء إلى جانب هذ العلمِ، علمٌ آخرُ يختص بالنظر في الجملِ من حيثُ الحذف والذكر والتقديم والتأخير وغير ذلك ما يتصلُ بجمال الأسلوب، وهو ما نُسَمِّيه اليومَ علمَ البيان.

أما العرب فلم يتفقْ علماء لغتهم على تعريف واحد للنحو، فلكلٍّ منهم تعريف خاصٌّ، واختلاف هذه التعاريف يعود إلى الاختلاف في تحديد دائرة القواعد النحوية. وهذه الحالة بدورها راجعة إلى صلة هذا العلم بالفروع الثقافية العربية الأخرى. فالنحو فرع من علوم العربية، وقد كانت هذه العلوم متداخلة فيما بينها وتشمل اللغةَ والصرف والاشتقاق والنحو والمعاني والبيان والبديع والخطَّ والعروض والقافية وإنشاء الخطب والرسائل والتاريخ وغيرها. ولعلَّ أفضلَ تعريف للنحو هو التعريفُ القائل: "إنَّ النحو هو محاكاة العرب واتباع نهجهم في ما قالوه من الكلام الصحيح المضبوط بالحركاتِ،" أو هو "قانون تأليف الكلام."

كما نظَّمَ الشعراء الجاهليُّون والإسلاميون الأوائلُ قصائدَهم دون معرفة علم العروض وأحكامه، هكذا تكلَّمَ العربُ لغة فصيحة دون أن يكونَ لهم علم بما يتصل بها من نحو وصرفٍ، ذلكَ أنَّ معرفتَهم للغتهم كانت قائمةً على الفطرة والسليقةِ. ويُجمِّعُ الباحثون على أنَّ ظهور النحو كان ردّة فعل على ظاهرة اللحن الطريف التي فَشَتْ كثيرا بعد دخول الأعاجمِ الإسلامَ. هذا اللحن كان قد بدأ

خفيفا منذ أيام الرسول على نحو ما يظهر، فقد لحنَ رجلٌ أمام النبي، فقال الرسول: "أرشِدوا أخاكم فإنه قد ضَلَّ." ويُجَمِّعونَ أيضا على أنَّ أبا الأسود الدؤلي هو أولُ من وضعَ شيئًا من قواعد النحو الذي بين أَيدينا. وأبو الأسود هو الذي وضعَ الحركاتِ على الألفاظ في القرآن الكريم.

وبعدَ أبي الأسود الدؤلي جاء تلاميذه أمثال عنبسة الفيل، وميمون الأقرن، ونصر بن عاصم، ويحيى بن يعمر، فساروا على خطى معلِّمِهِمْ، وأكملوا طريقه. ثمَّ أتى تلاميذهم ونهجوا نهجَ معلميهم، حتى نضج النحوُ نضجا متينا على يد الخليل بن أحمد الفراهيدي وتلميذه سيبويه، واضع أول كتاب نحويٍّ وصل إلينا. وما لبثَ أن برزتْ مدرستان في النحو: واحدة كوفية وأخرى بصرية، وكان كلٌّ من علماء المدرستينِ يدلي بدلوه في النحو. وهكذا الوضع فعل علماء المدرسة البغدادية والأندلسية والمصرية حتى إننا نعتقد بأنهُ لم يكتب في نحو ما كتب في النحو العربي (يعقوب، إميل بديع, ١٩٨٣).

والأشخاصُ في تطويرِ علم النحو لديهم دورٌ كبيرٌ لأجل صحَّة القاعدة لئلا يَدخلَ فيها اللحنُ السقيمُ الذي يُؤدي إلى فساد القاعدة. وهذا البحث يتناول عن فكرة نحويٍّ مشهورٍ اسمهُ السيرافي، وهو جاء من المدرسة البصرية. والمساهمات منه جيدةٌ وكبيرةٌ في صناعة قاعدة النحو، ويُعَدُّ مُمَثِّلًا في النحو من تلك المدرسة. واسمه الكامل أبو سعيد الحسنُ بن عبد الله بن المرزُبان السيرافي الفارسي القاضي النحوي اللغويُّ المقرئُ صاحب التصانيف. وسبب تسميته بالسيرافي نسبةً إلى "سِيراف،" وهي بلدةٌ على ساحلِ البحرِ من أرضِ فارسَ. وكان السيرافي عالما باللغة والنحو والعروض والقراءات والفرائض والحساب وغير ذلك من فنون العلم المتنوعةِ.

وكان من أعيان الحنفيةِ، وقد تفقَّهَ في عُمان، وسكن بغداد، فتولَّى نيابةَ القضاءِ وتُوفِّي فيها، وكان السيرافي مُتعَففا دَيِّنًا مُتورِّعا وهو لا يأكل إلا من كسبِ يده، يَنسخُ الكتبَ بالأجرة ويعيش منها، وكان أبوه من المجوسي اسمه بَهزاد فأسلمَ، فسَماهُ ابنُهُ: "عبدَ اللهِ،" وكان أبو حيان التوحيدي – كما ذكرَ الحافظُ ابن حجر في لسان الميزان – يُبالغُ في تعظيمهِ والثناء على السيرافي في العلوم، حتى قال أبو حيان عنه: "إنهُ صامَ أربعين سنةً أو أكثرَ الدهرِ، وأفتَى في جامعِ الرُّصافةِ خمسين سنةً، وما وُجدَ له خطأٌ أو زَلَّةٌ." وقد شرحَ السيرافي كتابَ سيبويه إمامِ النحو الشهيرِ شرحا لم يُسْبَقْ إلى مثلِه، فحسَدَهُ عليه أبو علي الفارسيُّ وغيرهُ من معاصريهِ، وهجاه أبو الفرجِ – صاحبُ الأغاني – لمناقشةٍ كانتْ بينهما بقوله: "لعن اللهُ كلَّ شعر ونحو وعروضٍ يجيءُ من سيرافٍ."

وأما الدراسات السابقة التي تتعلق بهذا البحث العلمي فهي كالآتي: (١) "آراء المبرّد في شرح كتاب سيبويه للسيرافي من البداية إلى بابِ كَمْ: نقدٌ وتوجيهٌ" لمحمد شحادة يوسف عطوي تحت إشراف

علي توفيق الحمد. بحثتْ هذه الرسالة عن آراء المبرد الواردة في ذلك الكتاب ومناقشتها وتناولها بالنقد والتوجيه وبالأخذ والردِّ عبر مقابلة هذه الآراء بآراء العلماء، للخروج بالرأي الراجح وبيان مدى مخالفة المبرد لسيبويه أو موافقته له وأيضا بيان الصواب من الخطأ. وتكمن أهمية هذه الدراسة أيضا بأنها تعرض إلى جانب آراء المبرد الواردة في شرح الكتاب للسيرافي آراءَ سيبويه، وتعرض رأي المبرد لإيضاح مخالفته لسيبويه، كما أنَّ هذه الدراسة تنظر أيضا رأي السيرافي الذي كان كثيرا ما يعلِّق على رأي المبرد موافقا له أو مخالفا منتصرا لسيبويه، وعلى ذلك فقد جمعتْ هذه الدراسة، إضافة إلى آراء المبرد، آراءَ سيبويه التي خالفها المبرد أو وافقها، وآراء السيرافي، وموقف النحاة في كل مسألة أو رأي للخروجِ بالرأي الراجحِ؛ وحاول الباحث في هذه الدراسة تناول هذه الآراء بالنقد والتوجيه لترجيح أحدها على الآخر بناءً على ما جاء به النحاةُ، واعتمادا على عناصر الترجيح ومقوماته من سماع وقياس وإجماع للنحاة وتأويل المعنى، واستخدم الباحثُ المنهج الوصفي الاستقرائي التحليلي في هذا البحث العلمي، إذ يقف على الظاهرة النحوية عند المبرد، واصفا إياها كما جاءتْ من منظور السيرافي، ثم يقوم بتحليلها على منهج معين. هذه الرسالة لم تبحث كثيرا عن آراء وأفكار السيرافي باعتباره ممثِّلا للمدرسة البصرية (شحادة يوسف عطوي، محمد, ٢٠١٥)؛

(٢) "جهود السِّيرافي النحوية من خلال شرحه على كتاب سيبويه" لمناهل عباس أحمد عوض السيد تحت إشراف الحسن المثنى عمر الفاروق. بحثت هذه الرسالة عن حياة السيرافي وشرحه على كتاب سيبويه وموقفه من أصول النحو وموقفه من مصادر الاحتجاج اللغوي وموقفه من النحاة الآخرين وآراء السيرافي النحوية والتفسيرية والتعليلية وأثر السيرافي في النحاة. هذه الرسالة لم تبحث كثيرا عما يتعلق بآراء السيرافي باعتباره مُمَثِّلا للمدرسة البصرية، إذْ أنَّ هذه المدرسة لها خصائص ومميزات بالنسبة من المدرسة الأخرى في تاريخ تطور علم النحو (عباس أحمد عوض، مناهل, ٢٠١٢)؛

(٣) "نهج السيرافي في شرحهِ لكتاب سيبويه" لعبد الحميد علي الفلاح السالم تحت إشراف إبراهيم السامرائي. هذه الرسالة بحثتْ عن ترجمة حياة السيرافي وأقوال العلماء عنه وأهمية شرح السيرافي في درس النحو وأهمية شرح السيرافي اللغوية والاستدراكات ومنهج السيرافي في شرح كتاب سيبويه وأصول النحو عنده والعوامل النحوية والخلاف في العامل والعلة النحوية والخلافات النحوية في العلة. وهذه الرسالة لم تناقش كثيرا عن آراء السيرافي باعتباره ممثِّلا للمدرسة البصرية. وأغلبيتها بحثت عن نهج السيرافي في شرحه لكتاب سيبويه (علي الفلاح السالم، عبد الحميد, ١٩٨٨).

هذا البحث تحت موضوع "مساهمةُ السيرافي في صناعة قاعدة النحو العربي (ممثِّلُ أهل النحو من المدرسة البصرية) " مناسِبٌ للقيام بأداه، لأنه يختلف بعدَّةِ الدراسات الموجودة من قبلُ، إذْ هذا البحث يتناول أفكار ومساهمَات السيرافي النحويّ التي ترتبط بمنصبهِ مُمَثِّلًا للمدرسة البصرية. ومن هذه الحالة يستطيع هذا البحث على إعطاء حَداثةٍ جديدة في مجالات علم النحو خصوصا أمر قاعدة النحو من منظور شخص لغوي نحوي مشهور. واستنادًا على خلفية المسألة السابقة يمكن استخلاص عدة لتحديد المشكلة كالآتي: (١) كيف مساهمة واجتهاد السيرافي فيما يتعلق بقواعد النحو باعتباره مُمَثِّلا لمدرسة البصرةِ؟؛ (٢) كيف تَميلُ أفكارُ السيرافي إلى العلماء البصريينَ في بناء نظرية النحو؟ من خلال محاولة تقديم المشكلتَيْنِ الأساسيَّتَيْنِ المذكورتَينِ، يرجو الباحث أن يكون هذا البحث العلمي له تبَرُّعٌ كبيرٌ في تطور مجال علم النحو، لأن السيرافي يمتلك دورا مهما في تاريخ علم النحو، خصوصا في مدرسة البصرة.

منهجُ البحث

هذا البحث يدخل في إطار البحث النوعي، وأما منهج التحليل الذي يستخدمه الباحث فهو منهج التحليل الوصفي النقدي. وجدير بالذكرِ أنَّ البحث النوعي هو أسلوب بحثيٌّ يُهدفُ إلى فهم الظواهر الاجتماعية أو الإنسانية بناءً على منظور المشاركين المعنيّين. وغالبا ما يُستخدم البحث النوعي في المجالات الاجتماعية والإنسانية والتعليمية والصحية لاكتساب نظرة متعمقة في ظاهرة ما.

هذا البحث صفته اكتشافيٌّ ويركّزُ على المعنى والخبرة والفهم الدقيق بدلا من البيانات الرقمية أو الإحصائية. وتشمل التقنيات المستخدمة في البحث النوعي المقابلةَ العميقةَ والملاحظة ودراسة القضية وتحليل الوثيقة. وفي هذا البحث يستخدمُ الباحث تحليل الوثيقة والاستماع بتقنية تدوين الملاحظة لجمع البيانات (Fatoni, 2019). فالموضوعُ الرسمي في هذا البحث هو دراسة أفكار شخص لغوي نحوي عربي، في حين إنَّ الموضوع المادي هو المؤلفات المهمة المشهورة من السيرافي (نحوي بصري) والكتب التي تتعلق بأفكاره.

نتائج البحث ومناقشتها

في هذا الفصل يعرضُ الباحث عن مساهمة السيرافي واجتهاده فيما يتعلق بقواعد النحو باعتباره مُمَثِّلا لمدرسة البصرة وأفكارِ السيرافي التي تميل كثيرا إلى العلماء البصريينَ في بناء نظرية النحو.

١,١ ترجمة حياة السيرافي

هو أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزُبان السيرافي الفارسي القاضي المقرئُ صاحبُ التصانيفِ، وُلد بسيراف سنةَ ٢٨٠ للهجرة، وقيل ٢٨٤ للهجرة، وكان أبوه مجوسيا يسمى بهزاد، فأسلم وتسمى باسم عبد الله. ويظهر أنه دفع ابنَه إلى التعلم منذ نعومة أظفاره، ولم يلبث التلميذ الناشئ أن أكبَّ على دروس اللغات والدراسات الدينية ببلدته (ابن الأنباري، عبد الرحمن بن محمد, ١٩٥٩; البغدادي، الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن علي الخطيب, ١٤١٧)، ولم يكد يبلغ العشرين من عمره حتى خرج إلى عُمان وتفقهَ على شيوخها، ثم تحول عنها إلى بغداد، فدرسَ اللغة على ابن دريد والنحوَ على ابن السراج والقراءات على أبي بكر بن مجاهد. وتعمق في الفقه تعمقا جعله يُختار لتولى منصبَ القضاءِ في الجانب الشرقي لبغداد. ولم يلبثْ أن ولى قضاء الجانبين: الشرقي والغربي جميعا، وهو في أثناء ذلكَ يتولى تدريس الفقه الحنفي للطلاب بمسجد الرصافة نحو خمسين عاما. وكلمة "السِّيرافي" يعني بِكَسْر السِّين وَسُكُون الْيَاء الْمُثَنَّاة من تحتهَا وَفتح الرَّاء قبلَ الْألفِ نِسْبَة إِلَى مَدِينَة سِيراف وهى من بِلَاد فَارس على سَاحل الْبَحْر مِمَّا يَلِي كرمَان (السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر, ١٩٧٩; ضيف، شوقي, n.d.).

وبلغ من إجلال الناس له أن كانوا يخاطبونَه بإمام المسلمين وشيخ الإسلام. وبجانب ذلك أنَّه كان يُعنى بالنحو ويفزع إليه الطلاب في تفسير عويصه وحلِّ مشاكله ومستغلقاته. وكان يعتنق الاعتزال مما جعله شديد المعجمصلة بالمنطق والمباحث الفلسفية، وهي صلة سلَّحته بقوة الحجة وسلامة البرهان، مما أضرم فيه نار الجدل، وجعله يظفر دائما بمناظريه. ومناظرته التي أفحم فيها متى بن يونس مشهورة، وكان موضوعها النحو والمنطقُ أيهما أدقُّ في معرفة صحيح الكلام من سقيمه وسديده من مدخوله، وكان يدافع فيها عن النحو، وأَغَصَّهُ بريقه. ومن مشايخ السيرافي أبو بكر بن دريد، وابن زِياد النيسابوري، وابن مجاهد، وابن السَّرَّاج، وأبو بكر مَبْرَمَان. ومن تلاميذه هم ابنُ خالويه، والجوهري، وأبو حيان التوحيدي، وعلي بن عيسى الربعي، وعليُّ بن أيوب القُمِّي، ومحمد بن عبد الواحد بنِ رِزْمَةَ.

وكان السيرافي يشغف شغفا شديدا بكتاب سيبويه، فألَّف عليه شرحه المطول الذي لم يطبع إلى اليوم، وهو يضمُّ فيه آراء خالِفيه من البصريين والكوفيين جميعا، متوقفا دائما للردِّ على الأخيرين. وألَّف مصنفا في شرح شواهد سيبويه ومصنفا ثانيا سماه المدخلَ إلى الكتاب. وترجم لنحاة البصرة في كتابه "أخبار النحاة البصريين." ومن مصنفاته كتابُ ألفات الوصل والقطع وكتاب شرح مقصورة ابن دريد وكتاب الإقناع في النحو لم يتمه وكتابُ صناعة الشعر والبلاغة وكتاب جزيرة العرب وكتاب أخبار

النحويين البصريين وكتاب شرح كتاب سيبويه وكتاب شرح المقصورة الدُّريديَّةِ. وما زال يواليْ نشاطَهُ في التأليف والتصنيف حتى توفيَ سنةَ ٣٦٨ هجرية، وقيل ٣٦٤ هجرية، وقيل أيضا ٣٦٥ هجريةً.

وتُوجَدُ من شرحه للكتاب نسخةٌ محفوظةٌ بدار الكتب المصرية، كتبها عبد اللطيف البغدادي العالم الفيلسوف المعروفُ. وهو لا يتخذُ في هذا الشرح منهجا ثابتا، إذ تارة يتقدم كلام سيبويه بموجز يوضحه، وتارة يبدأ بكلام سيبويه ويأخذ في شرحه وتوضيحه، وإذا كان كلام سيبويه واضحا لم يتعرض لشرحه، ومن أجل ذلك قد يتركُ فقرات وصفحات في الكتاب دون شرح وتفسيرٍ، لأنها في رأيه لا تحتاجُ تفسيرا ولا شرحا.

وقد بذل السيرافي جهدا خصبا في شرح كل ما غمض أو استغلق في الكتاب، وهو يسوق شرحه في لغة بينة واضحةٍ، ويُفيض في الشرح عارضا بالتفصيل آراء من خلفوا سيبويه من نحاة البصرة والكوفة. وكثيرا ما يستخدم مع الأولين كلمةَ قال أصحابنا، معلِنًا بصريته. ودائما يقفُ معهمْ مناصرا لهم ضدَّ الكوفيين، واستقرَّ في نفسه إلى أقصى حدٍّ أنَّ سيبويه هو الإمام المتبوع وأنَّ كتابه هو العَلَمُ المنصوبُ، مما جعله يتصدى في مواطن كثيرة للردِّ على مخالفيه من نحاة الكوفة، ومن البصريين أمثال الأخفش والمبرد .

ومرَّ بنا أنَ المبرد صنَّف كتابا في شبابه حاول فيه أن يتعقب سيبويه فيما سماه مسائل الغلطِ وأنَّ ابن ولاد تصدَّى له في كتابه "الانتصار" يرد عليه. وكثيرا ما نرى السيرافي يذكرُ تغليط المبرد لسيبويه، ويعمد إلى نقضه، وقد يقول في أثناء ذلك: "وذكر الراد عليه، ويسوقُ ردَّ ابن ولاَّد دونَ ذكرِ اسمه. وهو يخالفُ نحاةَ البصرة من أمثال المبرد في قبوله للقراءات الشاذة دون تغليطِها على نحو ما صنع ذلك الأخفش من قبله (ضيف، شوقي, n.d.).

١,٢ أخلاق السيرافي وأساتذته وتلاميذه

نُعتَ السيرافي بالثقة والديانة والأمانة والرزانة والزهد والورع والوقار والجد والنزاهة والعفة، وذلك بإجماع كل من ترجم له (الرومي، ياقوت الحموي, ١٩٩٣; القِفْطي، الوزير جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف, ١٩٨٦). ونقل السيوطي عن تلميذه أبي حيان في محاضرات العلماء قوله: "كان دينًا ورعا تقيا نقيا زاهدا عابدا خاشعا، له دأبٌ بالنهار من القرآن والخشوع، وورد بالليل من القيام والخضوع ما قرئ عليه شيء قط فيه ذكر الموت والبعث ونحوه إلا بكى وجزع ونغص عليه يومه وليلته وامتنع عن الأكل والشربِ، وما رأيت أحدا من الشيوخ أذكر بحال الشباب وأكثر تأسفا على ذهابه منه، وكان إذا رأى أحدا من أقرانه عاجَلهُ الشيب تسلى به،" كما نُعتَ السيرافي بحسن الأخلاقِ وجمال السيرة وما

حكايته مع رسول بن ماهان بعد أن أثقل على السيرافي بجهله وقال عنه السيرافي: "ما ظننتُ أنَّ ثقيلا تمكن من أحد تمكن هذا منا اليوم، وأن ألم نقله خلص إلى الروح والبدن كما خلص إليَّ،" إلَّا إشارةً إلى حسن خلق السيرافي وصبره ورزانته التي عُرفَ بها.

اتصل السيرافي في العسكر وبغداد بشيوخ عصره وعلمائه، وأخذ عنهم ومن أشهرهم: محمد بن عمر الصّيمري، وأبو بكر محمد بن مزيد الأزهري الخزاعي، وابن السَّراج، ومبرمان محمد بن علي بن إسماعيل، وابن دريد، وابن مجاهد، وعبد الله بن محمد بن زياد النيسابوري، وابن حربويه، والقاضي أبو محمد بن معروف. هؤلاء هم أساتذة السيرافي النبلاء، وجدير بالذكر أن ابن دريد الذي كان مقدما في حفظ اللغة والأنساب وأشعار العرب، وابن مجاهد هو إمام القراء في بغداد وأول من حددَ القراءات السبع المتواترة، وابن السراج الذي أخذ النحو عن المبرد، وكان إلى جانب هؤلاء شيخ آخر أخذ عنه علم الكلام ومذهب الاعتزال وهو الصميري المتبحر في علم الكلام. ولعلَّ متابعة ما وصل إلينا من آثار السيرافي الباقية وهما كتابا أخبار النحويين البصريين وشرح كتاب سيبويه تدلنا على مدى استفادته من كل منهم. (عباس أحمد عوض، مناهل, ٢٠١٢).

وأما تلاميذ السيرافي فهم: أبو حيان التوحيدي، وعلي بن المستنير، وابن النديم، والحسين بن محمد بن جعفر الرافقي النحوي المعروف بالخالع، وأبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه النحوي، والجوهري، وأبو العباس بن ماهان، والحسين بن مردويه الفارسي، وأبو محمد يوسف بن أبي سعيد السيرافي، وأبو محمد عبد الله بن حمود الزبيدي الأندلسي، وأبو العلاء، وأبو علي المحسن بن إبراهيم بن هلال الصابئ، وعبد السلام بن الحسين بن محمد، وعلي بن عبيد الله بن عبد الغفار، وعلي بن عيسى بن الفرج بن صالح، وأحمد بن بكر العبدي الفارسي، وعلي بن عبيد الله بن الدقاق النحوي، وعلي بن محمد بن عبد الرحيم بن دينار، ومحمد بن أحمد بن عمر الخلال أبو الغنائم، ومعز الدولة ابن بويه. هؤلاء هم تلاميذُ السِّيرافي الذين أفادوا من علمه ودرايته بعد أن تصدر لإقْراء القراءات والنحو والفقه والفرائض والحساب والكلام والشعر والقوافي (عباس أحمد عوض، مناهل, ٢٠١٢).

١,٣ فكرةُ السيرافي عن بناء القواعد النحوية

وقد اتسع السيرافي في كثرة ما أضافه من شواهدَ في شرحه للكتاب، كما اتسع في بيان وجوه الإعراب الممكنة لها ولما يسوقه سيبويه من شواهد، وأيضا لبعض ما يجري في كلام سيبويه من ألفاظ، وتبدو الصورة الأخيرة واضحة منذ الخطوات الأولى في الشرح إذ يقفُ عند لفظة "ما" في أول عنوان بالكتاب وهو "هذا باب علم ما الكلم من العربية" ويذكرُ لها خمسة عشرَ وجها من وجوه الإعراب. ونراه دائما

يرُدُّ كل اعتراضٍ يوجَّه إلى سيبويه في عباراته، فمن ذلك قوله في أوائل كتابه "هذا باب مجارى أواخر الكلمِ من العربية" وهي عنده ثمانية مجارٍ، ويُقصَدُ بالمجارى حركاتُ أواخر الكلم. واعترض عليه بعض المتعقبين بأنَّ الحركات تجري والمجاري لا تجري وإنما يُجْرَى فيهنَّ، وأجاب السيرافي على هذا الاعتراض بجوابين: أولهما أن أواخر الكلم، تنتقل من حركة إلى حركة، فجعل سيبويه كل حركة مجرى لذلك وجمعها على مجار، وثانيهما أنَّ مجرى في معنى جرى، فهو مصدر والمصادرُ قد تُجْمَعُ.

ولا يلبث السيرافي أن يورد اعتراض المازني على سيبويه، لعدِّه حركات البناء، وهي الفتح والكسر والضمُّ والوقف أو السكون، مجارى، لأنَّ الحركات في أواخر المبنيات كالحركات في أوائلها، والجري إنما يكون لما يحدث في شيءٍ مرة ثم يزول عنه، والمبني لا يزول عن بنائه، فكان ينبغي أن يقتصر سيبويه على أربعة مجار، وهي حركات الإعراب من الرفع والنصب والجر والجزم ويترك الأربعة الأخرى الخاصة بالبناء. وأجاب السيرافي على هذا الاعتراض، بأنَّ أواخر الكلم أو الجمل هي مواضع التغيير؛ ومن هنا يجوز إطلاقُ كلمة "مجارى" على حركات البناء، وإن كان بعضها لازمًا.

وكان السيرافي يتوسَّع في التعليل توسعا أسعفه فيه عقله الجدلي الخصب، فليس هناك شيءٌ علله النحاة إلا وتُذْكَرُ عللهم فيه، وتُضاف إليها علل جديدة، وما لم يعللوه حاول جاهدا أن يجد له علةً أو عللا تسنده، من ذلكَ أن نراه يعلل لعدم جر الفعل المضارع كما جُرَّ الاسمُ بسبع عللٍ؛ ويقف عند نصبِ جمع المذكر السالم بالياء دون الألف، ويذكر لذلك أربع علل، كما يذكر لعدمِ نصبه بالواو أربع علل أخرى، وأيضا فإنه يذكر لاختيار الألف دون الواو في رفع المثنى ثلاث عللٍ، وتتكاثرُ أمثال هذه العلل الميتافيزيقية في كل جوانب الشرحِ (ضيف، شوقي, n.d.).

وينبغي أن نعرف أنَّ وقوفه مع سيبويه لم يمنعهُ من مخالفته أحيانا والأخذ بآراء غيره أو برأي من عنده، ومن ذلك أنه كان يرد رأي سيبويه في أن كيف ظرفٌ، ويذهب السيرافي مذهبَ الأخفش في أنها اسم غير ظرف. وكان سيبويه والخليل بن أحمد الفراهيدي يريانِ أن الجزم في نحو "ائتني أكرمْك" بنفسِ الطلب لتضمنه معنى إنْ الشرطية، وذهب السيرافي إلى أنَّ الفعل المضارع مجزومٌ بالطلبِ لنيابته منابَ الجازمِ الذي هو الشرط المقدرُ كما أنَّ النصبَ بـضربًا في قولكَ "ضربًا زيدًا" لنيابته عن "اضربْ" لا لتضمنه معناه. ومرَّ بنا أن الخليل وتابعه سيبويه، كان يرى أنَّ الجزمَ في فعل "أكنْ" في قوله تعالى: "لولا أخَّرتني إلى أجلٍ قريبٍ فأَصَّدَّقَ وأكُنْ من الصالحين،" للعطفِ على معنى لولا أخَّرتني، أي إنْ أخَّرْتَنِي، وكان السيرافي يذهبُ إلى أنَّ "أكنْ" معطوفة على محلِّ "فَأَصَّدَّقَ." وكان سيبويه يذهبُ إلى أنَّ خفضَ خَرِب في قولهم: "هذا جُحر ضبٍّ خربٍ،" للجوار لأنَّ الكلمة نعت للجحرِ وجُرَّتْ بملاحظة ما

يجاورها، وقال السيرافي بل هي نعتٌ لـ "ضب،" حُذفتْ بقيته، إذ أصل العبارة: "هذا جحر ضب خرب الجحر منه،" ثمَّ حذف الضمير في "منه" للعلم به، وحُوِّلَ الإسناد إلى ضمير الضب، وخُفضَ الحجر، كما تقول: مررت برجل حسن الوجه، بالإضافة، والأصل: حسنٍ الوجهُ منه، ثمَ أُتِيَ بضمير الجحرِ مكانه لتقدمِ ذكره فاستتر؛ وهو تأويلٌ فيه تكلفٌ بينٌ (ضيف، شوقي, n.d.).

وكان يذهبُ إلى أنَّ "كان الزائدة" في نحو: "ما كان أحسن زيدًا،" تامة وفاعلها المصدر الدالة عليه أي كان الكون. وكان يمنعُ السيرافي – خلافا للمبرد – دخول لام الابتداءِ بعد إن على معمول خبرها مادامتْ قد دخلت على الخبر نفسه. وكان يجعلُ لفظةَ الشرِّ في نحو: "إياكَ والشرَّ" معطوفة على إياك لا معمولة لفعل مضمر على تقدير من قدَّر عبارتها إياك باعدْ من الشر واحذَرْ الشرَّ. ولم يكن يجيزُ في "غير" المبنية على الضمِّ أن يقال بجانبِ "ليس غير" في نحو: "قرأتُ كتابا ليس غير،" لم يكن غير. وكان يُجيزُ دخولَ لام الابتداءِ على السينِ في نحو: "لَسَاَقومُ" كما تقول لسوف أقومُ (السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر, ١٩٩٨).

وقد أكثر السيرافي من تخريجاته لوجوه الإعراب في الصيغ والعبارات، من ذلكَ نصب (والمقيمين الصلاة) في الآية الكريمة (لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليكَ وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة) وكان الخليل بن أحمد الفراهيدي كما قدَّمنا يجعلها منصوبةً على المدحِ بتقدير واذكرْ (المقيمين الصلاةَ)، وجوَّزَ السيرافي أن تكون مجرورةً بالعطفِ على ما فيكون معناه (يؤمنون بما أنزلَ إليكَ) وبالمقيمين الصلاةَ أي بمذاهبهم وبأديانهم. وواضحٌ أنه تخريجٌ بعيدٌ. وكان الخليل وسيبويه يذهبانِ إلى أنَّ "ليتَ" إذا اتصلتْ بها "ما" جاز عملها وإلغاؤُها، وإلغاؤها أحسنُ كقول بعض الشعراء:

قالتْ ألا ليتَما هذا الحمامُ لنا * إلى حَمامتِنا ونصْفُهُ فقَدِ

وواضحٌ أنَّ الشاعر ألغى "ليت" وجعل "هذا" مبتدأ و "لنا" خبره. وجوَّز السيرافي أن تكون "ما" اسما موصولا بمنزله "الذي"، و "هذا الحمام" خبر لمبتدأ محذوف، والتقدير: "ألا ليتَ الذي هو هذا الحمامُ لنا،" وهذا الرأي من السيرافي تخريجٌ بعيدٌ. وكان المبرد يعربُ "مَنْ لي إلا أبوكَ صديقًا؛" "منْ" مبتدأ و "أبوك" خبره و "صديقا" حال، وجوَّزَ السيرافي أن تكون "مَنْ" مبتدأ و "لي" خبره و "أبوك" بدلٌ من "مَنْ؛" وهو أيضا تخريج بعيد وطريفٌ.

اعلم أَنَّ كثرةَ تخريجاته لوجوه الإعراب جعلتْهُ يُدْلَى بطائفةٍ من الآراء الطريفة، ومن ذلك أنه كان يرى أنَّ عبارة "مذ يومان" في قولك: "ما رأيته مذ يومان" في موضع الحال. وكان السيرافي يذهب إلى

أنَّ جملة أفعال الاستثناء مثل ليس ولا يكون وخلا وعدا في موضع نصبٍ حال، وجوَّز فيها أن تكون مستأنفةً. وكان السيرافي يقول إنَّ "ما" في مثل: "ما خلا" مصدرية؛ وتقدير الحال في كل هذه الأفعال حين تقولُ قام القومُ ليسَ زيدًا أو ما خلا زيدا ونحوَهما هو: خالين عن زيدٍ.

وبأهل النحو، السيرافي انتهت مدرسة البصرة، وتصلء إلى غايتها من تأصيل القواعد ومَدِّ الفروعِ المتشابكة. وكانتْ تقابلها منذ الكسائي وما ألهمَه به الأخفش من الخلافِ على سيبويه مدرسةُ الكوفةِ. ومن الحق البينِ أنَّ مدرسة البصرة هي التي شادتْ، كما أسلفنا، بناءَ النحو الشاهق، وقد تسلمتْ منها مدرسةُ الكوفة، ثمَّ المدرسة البغدادية وما خلفها من المدرستَيْنِ الأندلسية والمصرية هذا البناء كاملا؛ ومضتْ كلُّ مدرسة تحاولُ أن تدخلَ على هذا البناء من الإضافات ما يتيحُ لها أن تكونَ ذات منهج جديد (ضيف، شوقي, n.d.)

١,٤ فكرة السيرافي التي تميل إلى المدرسة البصرية

المسألة عن أمر العامل في البدل، الأخفش والفارسي وكثير من النحاة المتأخرين ذهبوا أنَّ العامل في البدلِ غير العامل في المبدل منه، وإنما هو مقدرٌ من جنس الأول وتقديره في قولك: مررتُ بزيدٍ أخيك، أي: بـأخيكَ، يعني بتقدير إعادة العاملِ. وقد استدلَّ هؤلاء بالقياس والسماع، وأما السماع فإنَّ العامل المقدر ظهرَ في كثير من الشواهد، منها قوله تعالى: "ولا تكونوا من المشركين من الذين فرَّقوا دينَهمْ (الروم: ٣١-٣٢)،" وقوله تعالى: "الر كتابٌ أنزلناه إليكَ لِتخرجَ الناسَ من الظلماتِ إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد (إبراهيم: ١)،" فقد أبدلَ (الصراط) وقد أعاد العامل "إلى" . وأما القياسُ فكونه مستقِلاً ومقصودا بالذكرِ ولأجل ذلكَ لم يشترط مطابقته للمبدل منه تعريفا وتنكيرا.

وأما مذهب سيبويه وتبعهُ المُبرد والسيرافي وابن الحاجبِ أن العامل في البدل هو العامل في المبدل منه إذ المتبوع في حكم الطرح، أي الحذف؛ فقال السيرافي: "اعلمْ أنَّ البدل إنما يجيء في الكلام على أن يكون مكان المبدل منه كأنه لم يُذكَرْ،" فكأنَّ عامل الأول باشرَ الثاني، وأيضا لو كان له عاملٌ يخصُّهُ للزم إظهاره، إذ ليس هناك ما ينوب عنه. ومن هذا الرأي يدلُّ على أنَّ السيرافي ينصر مدرسة البصرة في تلك الحالة ويميل إلى تلك المدرسة. وقد ردَّ الرضى ما ذهب عن ذلك الأمر الأخفشُ ومَنْ تبِعَهُ (عباس أحمد عوض، مناهل, ٢٠١٢).

المسألة عن أمر العامل في الشرط والجزاء، اختلف أهل النحاة عن العامل في الشرط والجزاء على عدة مذاهبَ، فقد ذهب الخليل وتبعه المبرد إلى أنَّ أداة الشرط عاملة في فعل الشرطِ، وأداة الشرط وفعل الشرط معا عاملان في الجزاء لارتباطهما، وذهب الأخفش إلى أن الشرط مجزوم بالأداة،

والجزاء مجزومٌ في هذا الأسلوب بالفعل وحدهُ، لأنه طالبٌ له؛ وذهب أبو عثمان المازني إلى أنَّ الشرط والجزاء مبنيانِ لعدم وقوعهما موقع الاسمِ. وأما الكوفيون فذهبوا إلى أنَّ الشرط مجزومٌ بالأداة والجواب مجزوم بالجوار، أي بمجاورته المجزومَ، وهو فعل الشرط كما أنهُ جُرَّ بالجوار جاز الجزمُ بالجوار لأنَّ الجزم أخو الجرّ (الأنباري، كمال الدين أبي البركات عبد الرحمن ابن محمد بن أبي سعيد, ٢٠٠٥).

وذهب السيرافي إلى رأي مخالفٍ لما سبق فقال: "وأما حروف المجازاة والشرط فإنما جَزمت ما بعدها،" وعلل ذلك فقال: "لأنها محتاجةٌ إلى أجوبة من أفعال وجملٍ فاستطالوا الكلامَ فأعطوه الجزمَ والله أعلمُ بالصواب." وقد نسب الرَّضي للسيرافي هذا القول بأن قال: "إن العامل في فعل الشرط وجوابه أداة الشرط في قولك (إنْ تزرع تحصد) فالعامل في الفعلينِ جزما أداة "إنْ،" وقد علَّل أبو سعيد السيرافي لذلك فقال: "لاقتضائهما الفعلينِ اقتضاءً واحدا وربطهما الجملتين إحداهما بالأخرى حتى صارتا كالجملة الواحدة لشدة الارتباط فهي كالابتداء في أمر العامل في المبتدأ والخبر معا، وكـ (ظننت) و (إنَّ وأخواتها) عملت في الجزأينِ لاقتضائها إياهما." وما نسبه الرَّضي إلى السيرافي هو قول المحقِّقِيْنَ من نحاة البصرة، وعزَّاه إلى سيبويه وقد اختاره جماعةٌ من المتأخرين كابن عصفور والجزولي وغيرهما (ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن, ١٩٨٠). هذه الحالة تشير إلى أن السيرافي يميل إلى مدرسة البصرة في رأيه عن النحو.

المسألة عن عامل النصب في (زيد) في قولك (ضربًا زيدًا)، المقرر لدى النحاةِ أن المفعول المطلق المحذوف فعله كنحو (ضربًا زيدا) سواء كان الحذف لازما أو جائزا، أن الناصبَ لـ "زيد" هو المصدر؛ لكونه قائما مقام الفعل، والأصل: (أضربُ زيدا ضربًا) فالمصدر في تلك الجملة عمل في المفعول لكونه كالفعل، لا لتأويله بـ "أنْ والفعل،" ودليل كونه كالفعل امتناع استعمال الفعل معه، وذلكَ بإضافته إلى الفاعل إذ لا يُقال: "أضرب زيدا ضربا." وبهذا الرأي قال الأخفش والزجاج والفراء.

وقد خالف السيرافي سيبويه وقال إنَّ العامل في (زيد) المنصوب هو فعلٌ مقدرٌ، يقول السيرافي: "أما قولك آمرا ضربًا زيدًا والضربُ زيدًا، فكثير من النحاة يتسعون فيه فيقولون: العامل في (زيد) المصدر والحقيقة في ذلك غير ما قالوه اتساعا، وإنما العامل في (زيد) الفعل الذي نصبَ المصدر وتقديره (اضربْ ضربًا زيدًا)، فالعامل في (ضرب) وفي (زيد) جميعا الفعلُ ولكن هذا المصدر صار بدلا من اللفظ بفعل الأمرِ فاتسعوا أن يقولوا: إنهُ العامل في الاسمِ، لما كان خلفا من العامل (السيرافي، أبو سعيد, ٢٠١٢)."

وهذا المذهب مذهب المبرد، قال ابن عقيل: "وذهبَ المبرد والسيرافي وجماعة إلى أنَّ عامله ناصب المصدر المبدل من لفظه." وقد رجَّحَ الرَّضي ذلكَ المذهب، حيث قال: "والأَفضَلُ أن يُقالَ (العمل للفعل على كلِّ حالٍ، إذ المصدرُ ليس بقائم مقامه حقيقةً، بل هو كالقائم مقامه) (الرضي الاسترابادي، محمد بن الحسن نجم الملة والدين المحقق, n.d.; عباس أحمد عوض، مناهل, ٢٠١٢)."

١,٥ المساهمات والاجتهادات من السيرافي عن قاعدة النحو

بالرغم من أنَّ السيرافي كان موافقا لآراء سيبويه ومدافعا عنه في كثيرٍ منها ورادًّا لمعارضيه، فلم يمنعهُ ذلكَ من مخالفته أحيانا أو معارضته وإجازة ما منعه أحيانا والأخذ بآراء غيرهِ أو برأي من عندهُ معتمدا على أصالته اللغوية وتنوع معرفته وسعة اطلاعه مستفيدا من ثقافته اللغوية والنحوية، ومن ذلكَ أنه كان يرُدُّ رأي سيبويه في أنَّ (كيف) ظرفٌ، ويذهب مثل مذهب الأخفش في أنها اسمٌ غير ظرفٍ؛ قال السيرافي: "أحتاجُ أن أُبَيِّنَ أنَّ "كيفَ" حقيقتها وموضوعها إنه اسم غير ظرفٍ وإن كان قد يؤدي معناها قولهم على أي حال." والدليل على ذلكَ إذا قلتَ: "كيف هذا الثوبُ؟" فالجواب أن يقالَ: خشن أو لين أو طويلٌ أو قصير. وما زال السيرافي يبيّنُ رأيه ويقول: "ولو كان (كيف) ظرفا لم يمتنعْ دخول أحرف الجر عليه كدخولها على (متى وأين) في قولك: "إلى متى يكون هذا؟ ومن أينَ أقبلتَ؟" ثم قال وقد اختُصَّتْ (كيف) بأشياء ليست في نظائرها منها أنها اسمٌ ليس بظرفٍ، ولا يكون لها عائدٌ، ولا يخبر عنها، كمن وما وأيٌّ، تقول: مَنْ ضربته؟ وما أكلته؟ وأي أثبته؟ (عباس أحمد عوض، مناهل, ٢٠١٢).

ومن اجتهادات السيرافي أيضا، أنَّ سيبويه والخليل بن أحمد يريانِ أن الجزمَ في فعل "أكن" في قوله تعالى: "لولا أخَّرتني إلى أجل قريبٍ فأَصَّدَقَ وأكنْ من الصالحينَ،" للعطف على معنى "لولا أخرتني" أي "إنْ أَخرتَنِيْ" وكان السيرافي يذهبُ إلى أنَّ "أَكُنْ" معطوفة على محلِّ "فأصَّدَّقَ." وكان السيرافي يمنع خلافا -للمُبرد- دخول الابتداء بعد "إنَّ" على معمول خبرها مادامتْ قد دخلت على الخبر نفسه، وقال السيرافي عن ذلك: "واعلمْ أن اللام في قولك (أشهدُ أنَّ زيدا لَمنطلقٌ) و (أعلمُ أنَّ زيدا لَمنطلقٌ حقًّا)، وموضعها أن يكون قبل "أنّ" وذلكَ أنَّ اللام تمنع ما قبلها من العملِ فيما بعدها فلو كان موضعها بعد "أنَّ" لوجبَ فتحُ "أنَّ" ولبطلَ عملُ "أنَّ" فيما بعد "أنَّ".

وجعل السيرافي لفظة "الشرّ" في نحو: "إيَّاك والشرَّ" معطوفة على (إياك) لا معمول لفعل مضمرٍ على تقدير منْ قدَّر عبارتها (إياك باعدْ عن الشرِّ واحذَر الشرَّ)، وقال أبو سعيد السيرافي: "وأما (إياك والشرَّ) فليس يُخاطب نفسَهُ ولا يأمرها وإنما يخاطبُ رجلا يقول له: (إياكَ باعد عن الشرِّ)

فينتصب إياك بباعدْ وما أشبهه ويُحذفُ حرفُ الجرِّ من "الشر" وتوقع الفعل المقدر عليه فيعطفه على الأول لأنَّ الفعلَ قد وقعَ على الأوَّلِ.

وكان السيرافي يذهبُ إلى أنَّ "كان" الزائدة في نحو: "ما كانَ أحسن زيدًا" تامة وفاعلها المصدر الدالة عليه، أي "كان الكونُ،" وكان السيرافي يجيزُ دخولَ لام الابتداءِ على السين في نحو: "لسَأقومُ" كما تقول "لسوفَ أقومُ." وخلاصة القول أنَّ تلك الآراء من السيرافي وُجدتْ موافقَةً مِنَ الذينَ جاءوا بعدهُ مثلَ الرضي، فقد سار على نهجهِ وأيدهُ في شرحهِ للكافيةِ في مسائلَ كثيرةٍ، ومن ناحية أخرى فإنَّ هذه الآراء والاعتراضات لم تلق جميعها القبول عند بعضهم، فقد وُجدَ منْ يرُدُّ بعض آراء السيرافي مثلَ ابن مالك وابن هشام (عباس أحمد عوض، مناهل, ٢٠١٢).

يُعتبرُ مذهبُ السيرافي أنه مذهب عالم واضح الفكر مستقل الرأي، قال بأكثر ما قال به البصريون وعدَّ نفسه منهم، وكان قبل ذلكَ عالمُ فقه ومنطق وكلام، فلما تناولَ شرح سيبويه لأداء شرحه وهو كتاب نحوٍ قائم على القياس والتعليل، وسَّعه وزاد وأضفى عليه من نزعته في حب الوضوح والميل إلى مذهب البصرة والتأثر بالفقهاء وأهل الكلام في أسلوبه وعلله وطريقة احتجاجه واعتماده كثيرا من المعاني العقلية في بناء الأحكام النحوية.

خلاصة

ومن البحث السابق ذكرُه يتمكنُ من أن يأخذ الباحث الاستنتاجات منه وهي كما يلي:

١) ذهب السيرافي وجوَّز أن تكونَ "مَنْ" في نحو: "مَنْ لي إلا أبوك صديقا،" مبتدأٌ، و "لي" خبره، و "أبوك" بدلٌ من "مَنْ." وأما المبرد فيعربُ "مَنْ" مبتدأٌ و"أبوك" خبره و"صديقا" حالٌ؛ وهذا هو اجتهاد السيرافي في قاعدة النحو؛

٢) ومن اجتهاد السيرافي أنَّ كلمة "كيف" اسمٌ غيرُ ظرفٍ، قال السيرافي: "أحتَاجُ أنْ أُبَيّنَ أنَّ "كيفَ" حقيقتها وموضوعها إنه اسم غير ظرفٍ وإن كان قد يؤدي معناها قولهم على أي حال." والدليل على ذلكَ إذا قلتَ: "كيف هذا الثوبُ؟" فالجواب: خشن أو لين أو طويلٌ أو قصير. وما زال السيرافي يُبيّنُ رأيه ويقول: "ولو كان (كيف) ظرفا لم يُمتنعْ دخولُ أحرف الجر عليه كدخولها على (متى وأين)؛

٣) مذهب سيبويه وتبعهُ المُبَرّد والسيرافي وابن الحاجبِ أنَّ العامل في البدل هو العامل في المبدل منه إذ المتبوع في حكم الطرح؛ فقال السيرافي: "اعلمْ أنَّ البدل إنما يجيء في الكلام على أن يكون مكان المبدل منه كأنَّه لم يُذكَرْ،" فكأنَّ عامل الأول باشرَ الثاني، وأيضا لو كان له عاملٌ يخُصُّهُ للزمَ

إظهاره، إذ ليس هناك ما ينوب عنه. ومن ذلك الأمر يشير إلى أنَّ السيرافي ينصرُ مدرسةَ البصرة في تلك الحالة ويميل إليها؛

٤) تابع السيرافي سيبويه في كتابه شارحا ما جاء فيه موضِّحا ما استغلق من عباراته مبيِّنا آراء سيبويه النحوية والمسائلَ التي كان للسيرافي رأي خاصٌّ فيها مع احتفاظه بشخصيته العلمية في ذلكَ كله؛ واستعانة السيرافي بغيرهِ من النحاةِ على كشف الآراء التي ضمنها كتاب سيبويه وتوضيحها أو الدفاع عن سيبويه بالردِّ على ما نسب من غلط إليه؛

٥) واعتمد موقفُ السيرافي على القرآن أساسا للدفاع عن سيبويه، واعتمد أيضا الروايةَ الصحيحةَ للشاهد الشعري مع مقارنته بأبيات القصيدة التي أخذ منها لبيان المعنى المقصود، والمناسبةِ التي ذكر فيها، وعدم تفرقته بين شواهد نحاة البصرة الذينَ هم أصحابه وشواهدِ نحاة الكوفة في تقرير ما يراه صوابا؛

٦) اعتمد نحاة البصرة والسيرافي السماع الصحيح أساسا للقياس، واستخدم السيرافي القياس على أنه عملية شكلية يتمُّ بها إلحاق أمر بآخرَ لما بينهما من شبهٍ أو علة فيعطى الملحق حكم ما ألحق به؛ سيطرت العلة بشكل كبير على تفكير السيرافي في عملية الشرح، فاستخدم العلل بأنواعها الثلاثة: التعليمية والقياسية والجدلية، كما استخدم أيضا التأويل بإفراطٍ؛ (٧) وعدَّ السيرافي في منهجه القراءة القرآنية المتفقة، وقواعد النحو الصحيحة أقوى من القراءة القرآنية التي تخالفُ هذه القواعد، وعدَّ السيرافي أيضا الظاهرة اللغوية التي تؤيدها قراءةُ الجمهور أو القراءة المجمع عليها أقوى من قراءة القلة؛ ولم يُجوِّزْ السيرافي ردَّ الظاهرة اللغوية المؤكدة بقراءة قرآنية لأنها أمر واقع لا يجوز ردهُ؛ (٨) السيرافي لم يفَرِّقْ في الاستشهاد بين القراءات المتواترة والقراءات الشاذة بل اعتمدَ الاثنتينِ فيما يراه مناسبا؛ ولم يُكثرْ السيرافي من الاستشهاد بالحديث وما احتجَّ به في أمور لغوية غالبًا.

المراجع

Fatoni, A. S. (2019). STUDI PEMIKIRAN ABU ALI AL-FARISI TENTANG GRAMMATIKA ARAB (REPRESENTASI TOKOH NAHWU MADRASAH BAGHDAD). *TAMADDUN: Jurnal Kebudayaan Dan Sastra Islam*, *19*(1), 84–106. https://doi.org/10.19109/tamaddun.v19i1.3402

Khoiroh, H., Anah, S., & Wassalwa, A. (2024). تعليم اللغة العربية على أساس مهارات التفكير الحاسوبي (CT). *International Proseeding on Language Teaching*, *1*(1).

Saussure, F. De. (1971). *Cours De Linguistique Generale, Etudes Et Documents Payot*. Payot.

ابن الأنباري، عبد الرحمن بن محمد .(1959) .*نزهة الألباء في طبقات الأدباء* .مطبعة المعارف.

ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن .(1980) .*المساعد على تسهيل الفوائد*)عبد الحميد، محمد محيي الدين .(.Ed.; 2nd ed, دار التراث.

الأنباري، كمال الدين أبي البركات عبد الرحمن ابن محمد بن أبي سعيد .(2005) .*الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين* .دار الطلائعِ.

البغدادي، الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن علي الخطيب .(1417) .*تاريخ بغداد*)عطا، مصطفى عبد القادر .(.Ed.; 1st ed, دار الكتب العلمية.

الرضي الاسترابادي، محمد بن الحسن نجم الملة والدين المحقق .(n.d.) .*شرح الكافية في النحو* . انتشارات مرتضوي.

الرومي، ياقوت الحموي .(1993) .*معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب*)عباس، إحسان .(.Ed.; 1st ed, دار الغرب الإسلامي.

السيرافي، أبو سعيد .(2012) .*شرح كتاب سيبويه*)مهدلي، أحمد حسن؛ علي، علي سيد ;.Ed , .(.2nd edدار الكتب العلمية.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر .(1979) .*بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة*)إبراهيم، محمد أبو الفضل .(.Ed.; 2nd ed, دار الفكر.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر .(1998) .*همع الهوامع في شرح جمع الجوامع*)شمس الدين، أحمد .(.Ed.; 1st ed, دار الكتب العلمية.

الغلاييني، مصطفى .(2007) .*جامع الدروس العربية* .دار الفكرِ.

القِفْطي، الوزير جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف .(1986) .*إنباه الرواة على أنباه النحاة*)إبراهيم، محمد أبو الفضل .(.Ed, دار الفكر العربي.

الهاشمي، السيد أَحمد .(1943) .*القواعد الأساسية للغة العربية* .دار الكتب العلمية.

شحادة يوسف عطوي، محمد .(2015) .*آراء المبرّدِ في شرح كتاب سيبويه للسيرافي من البداية إلى بابِ كَمْ: نقدٌ وتوجيهٌ* [رسالة الدكتوراة]. جامعة اليرموك، كلية الآداب، قسم اللغة العربية.

ضيف، شوقي .(n.d.) .*المدارس النحوية* .(.7th ed)دار المعارف.

عباس أحمد عوض، مناهل .(2012) .*جهود السِّيرافي النحوية من خلال شرحه على كتاب سيبويه* [رسالة الدكتوراة]. جامعة أم درمان الإسلامية.

علي الفلاح السالم، عبد الحميد .(1988) .*نهج السيرافي في شرحهِ لكتاب سيبويه* [رسالة الدكتوراة]. الجامعة الأردنية.

نعمة، فؤاد .(n.d.) .*ملخص قواعد اللغة العربية* .دار الثقافة الإسلامية.

يعقوب، إميل بديع .(1983) .*موسوعة النحو والصرف والإعراب* .دار العلم للملايين.